تعريف القرآن للقرآن
مدخل أساس لخدمة علوم القرآن

إعداد

د. فاطمة بوسلامة

أستاذة علوم القرآن بمؤسسة دار الحديث الحسنية

الرباط ــ المغرب

المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

بين يدي الموضوع:

كثر الحديث اليوم عن ضرورة تجديد العلوم الشرعية ووجوب خدمتها، وأثيرت لدى الباحثين أسئلة كثيرة مثل: لماذا هذه الخدمة؟ ما هي حدودها وضوابطها؟ وكيف نخدم؟.

فأما دواعي هذه الخدمة فهي مدار البحوث الرامية إلى تأكيد أهمية هذا العلم أو ذاك وملاحظة ما اعتراه ـــ في التاريخ وفي الواقع ـــ من مظاهر خلل وقصور حالت دون تقدمه وفعاليته.

وأما حدودها وضوابطها فهي مدار البحوث المُعرفة بأسس بناء العلم ومبادئه والتي ينبغي التقيد بها في كل محاولة تروم تجديد هذا العلم.

وأما كيف نخدم –والمقصود بعد الاقتناع بضرورة الخدمة واحترام ضوابطها– فجوابه هو موضوع المحاولات التي اقترحت مداخل ومناهج لخدمة هذه العلوم، وهي محاولات اتكأت في جملتها على أساسين اثنين: أحدهما ذاتي داخلي متمثل في اكتشاف نقاط القوة والبحث عن أسباب التقدم والبناء على كل ذلك لتطوير العلم تجديده.

والأساس الثاني خارجي متمثل في الاستفادة من التطور الحاصل في الحياة المعاصرة وعلى رأسه تطور مناهج البحث وتقدم العلوم المختلفة.

وهذا البحث كما يظهر من عنوانه يُعني بالأساس الأول و يروم التأكيد على أهمية الاعتماد على النظر الواسع الذي يتيحه القرآن الكريم أمام العقل المسلم في بناء وتقويم مسائل علوم القرآن.

تمهيد: في الحاجة إلى خدمة علوم القرآن

نستدل على الحاجة إلى خدمة علوم القرآن من خلال الوقوف على معاناة هذا العلم، وهي معاناة متعددة الأوجه، نذكر منها:

- ضمور روح الإبداع والاكتفاء بترديد أقوال السابقين[1] دون محاولة البناء عليها والإسهام في إثراء العلم وتجديده، خصوصا مع غلبة المنهج التعليمي على المنهج العلمي البحثي والميل إلى التلخيص والترجيح والتنظيم، وقد لفت الدكتور فهد الرومي إلى الأثر السلبي للمنحى التعليمي الذي اتجهت إليه مؤلفات العصر الحديث في علوم القرآن قائلا:" ولعلك تلاحظ أن أغلبها قد ألفها أصحابها لطلابهم، وأحسب أن هذا يؤدي إلى الإجمال في الحديث وتيسير المادة وعدم الخوض في دقائق المسائل ووعر المسالك واختيار السبيل الأسهل والأيسر، وهذا المنهج يحرم الباحثين المتخصصين من نيل مرادهم والحصول على بغيتهم، كما يحرم المؤلفين من الإبداع في القول ومن إعمال الذهن والتجديد في الآراء، بل أدى بهم إلى التسليم في كثير من المسائل والقضايا ونقلها كما هي من غير تَمحيصٍ خشيةً من الدخول في تفاصيل تخرج به عن هدفه من التأليف" [2].

- تضمن العلم مسائل ليست منه، وهي مسائل تخص في الغالب الموضوعات المشتركة بين علوم القرآن وغيره كعلم اللغة وأصول الفقه وعلم الكلام، ومنها مسائل لها ارتباط بجدل كلامي أو خلاف تاريخي أو نزاع مذهبي.

من ذلك مسألة الكلام الإلهي وخلق القرآن[3]، ومفهوم الصرفة في إعجاز القرآن، وتفاضل الآيات والسور، وثنائية عربية القرآن وأعحميته[4]..

---

[1]- وبخاصة عند بداية القرن العاشر وبعد تأليف كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام السيوطي (ت911).

[2]- دراسات في علوم القرآن الكريم: ص49.

[3]- سيأتي الكلام عن المسألة ضمن تعريف القرآن عند العلماء.

[4]- قال الدكتور محمد إقبال عروي متحدثا عن هذه المسألة: "امتلأت صفحات كتب علوم القرآن والتفسير بنقاش طويل حول عربية القرآن الكريم... ومع أن الموضوع لا تعلق له بفهم العقائد والأحكام والتحلي بتزكية النفس... ومع أن عدد تلك الألفاظ المختلف فيها لا يكاد يتجاوز عدد رؤوس الأصابع، إلا أن العلماء والمفسرين وجدوا في الموضوع فرصة لاستثمار معارفهم اللغوية والتاريخية، ولم يكونوا في حاجة إلى ذلك .."، العلوم الإسلامية أزمة منهج أم أزمة تنزيل/ مرتكزات منهجية في المراجعة العلمية لعلوم القرآن وتفسيره وبلاغته: ص387.

- تضمن العلم عددا من المقولات التي كثر تداولها واشتهرت إلى حد بلوغها مرتبة المسلمات مع كونها عند البحث والتحقيق تفتقر إلى شاهد قوي على صحتها وتحتاج إلى دليل واضح يسندها، وقد يكون من أهم أسباب وجود مثل هذه المقولات الاعتماد على أحاديث ضعيفة وروايات مرجوحة وموضوعة أو سوء فهم ما صح من هذه الأحاديث والروايات.

وقد عد الشيخ فضل عباس من هذه المقولات:

القول بنزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة.

كون تنزلات القرآن الكريم ثلاثة.

القول بتعدد النازل والسبب واحد[1].

- معاناة مصطلحات العلم المُعرفة من عدد من الظواهر السلبية منها:

- قصور التعريف وعدم كفايته في تمثيل المعنى المقصود مثل مصطلح "القرآن".
- التعدد الواضح والكثرة المهولة في تعريف مصطلحات أساسية وخاصة تلك التي تجد لها استعمالا في علوم أخرى كأصول الفقه وعلم الكلام مثل مصطلحات "التأويل" و"الإحكام" و"التشابه".
- استعمال مصطلحات ذات معاني فضفاضة قابلة لتحديدات متعددة مثل مصطلح " التفسير بالرأي" أو "التفسير العقلي".
- تشتت التعريفات وتفرقها في المصادر وانصراف أكثر الباحثين في علوم القرآن عن جمعها وتصنيفها ودراستها.

- تطبيق ما يقال في علوم أُخرى على مسائل علوم القرآن، وذلك أن بعض العلوم الشرعية قد سبق تدوين مسائلها وتقرير مناهجها وقواعدها وهذا السبق أثر في

[1]- راجع إتقان البرهان في علوم القرآن: الفصل الخامس+ غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن: الفصل السادس والتاسع.

بحث مسائل هذا العلم ووقعت الغفلة عن خصوصية الدرس القرآني وحقيقة المفاهيم القرآنية.

- وجود مسائل لم تأخذ حظها من البحث والدراسة كعلم المناسبات ومقاصد القرآن، وأخرى تحتاج إلى إنضاج واستواء على السوق كأصول التفسير.
- بحث موضوعات العلم من غير أهله، وتداول مواقف ومذاهب خارجة عن تربته ضمن ما أصبح يعرف بالقراءات المعاصرة أو القراءات العلمية.

هذا فضلا عن ظواهر أخرى مرتبطة بنشر العلم وجمع المدروس والتواصل بين المتخصصين وانصراف أغلب الباحثين عن البحث فيه والانشغال بغيره من العلوم الشرعية.

وإذ نُقر بما في مباحث هذا العلم من خير وفضل ولا نتنكر لما بُذل من جهد مثمر، فإن قبول هذه المباحث على علاتها والاكتفاء بما أُنجز فيه على رأي الشيخ الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) ضُر كثير، والأولى "أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده"[1].

وقد يختلف الدارسون في تشخيص واقع العلم وتحديد مشكلاته، ولكنهم لا يختلفون في وجوب التدخل والبحث في المعالجات الممكنة والأدواء الناجعة.

لذلك جاءت هذه المحاولة المتواضعة في وضع اليد على عين الداء والتنبيه على مسلك أساس في العلاج ألا وهو توسيع معرفتنا بالقرآن الكريم ووصل مباحث العلم من جديد بالرؤية الحقيقية للقرآن الكريم.

هذا ولا تفوتنا الإشارة إلى أن المقالات و الدراسات التي تُعنى بتجديد علوم القرآن الكريم قليلة جدا بالمقارنة مع تلك التي تُعنى بعلوم أخرى كالفقه وأصوله مثلا، وما وُجد من هذه المقالات والدراسات يغلب فيه الحديث عن التفسير وأصوله، ولا تكاد تعثر على ما يرتبط بغيره من مباحث علوم القرآن.

[1]- التحرير والتنوير: 7/1.

1- تعريف القرآن بين نظر العلماء ونظر القرآن

لم تكن الحاجة قائمة على عهد السلف الصالح إلى صياغة عبارات كاشفة عن تصورهم لمعنى القرآن الكريم ومدى معرفتهم به إذ كانت هذه المعرفة سلوكا والتزاما كما كانت تطبيقا وخُلقا، ولما دعت الحاجة إلى تدوين العلوم، تناول العلماء هذا القرآن ـــ باعتباره مصدر هذه العلوم جميعا ـــ كل من زاويته التي تعنيه وعرفوه بخصائصه التي تناسب غرضهم وتخدم هدفهم.

1-1- تعريف القرآن عند علماء القرآن

يستدعي الحديث عن تعريف القرآن الكريم عند علماء القرآن التمييز بين مجالين علميين ارتبط بأحدهما هذا التعريف، وهما مجال علم الكلام ومجال علم أصول الفقه.

ففي مجال علم الكلام: عُرف القرآن باعتباره كلاما إلهيا والكلام صفة من صفات الله تعالى فتعددت الأقوال في تعريف هذا الكلام بحسب تعدد الطوائف الإسلامية والمذاهب العقدية[1] واختلاف رؤيتهم لبعض القضايا الجانبية المثارة مثل:

هل الكلام وصف قائم بذات الله تعالى أم أنه سبحانه يتكلم بمشيئته وإرادته؟

هل الصوت و الحرف من لوازمه أم لا؟

هل هو معنى واحد أم معاني متعددة؟

هل كلامه مخلوق لأن المداد وصوت القارئ كذلك؟ أم ليس بمخلوق لكونه صفة من صفاته؟...

وكان من أهم الإجابات التي قُدمت للمسلمين آنذاك أن الله تعالى متكلم وأن كلامه صفة من صفاته غير مخلوق وأنه زائد على الذات، وزيد من التفصيل بعد ذلك ما طال به البحث ووقع به الاختلاف.

[1]- منها كما هو معلوم مذهبان رئيسيان هما مذهب المعتزلة ومذهب الأشاعرة .

وإذا كان واضحا أن علماء المسلمين في العصور الأولى لم يقصدوا ببحثهم تلك المسائل إلى الفرقة والاختلاف إذ رأوا الحق فيما ذهبوا إليه والتمسوا له من الأدلة ما يرون صوابها، لكن من جاءوا بعدهم نقلوا أقوالهم وتعصبوا لمذاهبهم وأطنبوا في الاستدلال وبالغوا في إيراد الحجج إلى حد اتسع معه الخرق وصعب معه درء الصدع وخرج العلم عن مقصده الأصلي.

الأمر الذي دفع إلى التساؤل عن جدوى الخوض في مثل هذه المسائل وفائدة تلك المناقشات الطويلة خصوصا في هذا العصر الذي اختلفت حاجاته وانشغالاته وأولوياته عن تلك التي كانت في تلك العصور.

قال الدكتور أحمد الريسوني في سياق حديثه عن موضوع صفات الله تعالى الذي اعتبر الإطالة في بحثه نموذجا للانسياق مع الذهنيات والانقطاع عن الواقع: "هل هذه مشاكل تشغل الناس في دينهم أو دنياهم؟ هذا هو السؤال. الإشكالات التي يجيب عنها العالم يجب أن تكون إشكالات حقيقية وتساؤلات حقيقية وقعت له أو وقعت للناس بشكل طبيعي لا مصطنع، فهل هذه أسئلة عموم الناس؟ بل هذه من مختبرات المتكلمين، فهي التي أنتجت مثل هذه القضايا... ما قيمة هذه القضية (خَلق القرآن) التي تصارع الناس حولها طويلا وعانى العلماء بسببها كثيرا وكانت محنة وقتية في تاريخ المسلمين العلمي والثقافي وحتى السياسي؟ هذه قضية لا قيمة لها في الدين ولا وجود لها إلا في أذهان الذين غرقوا في مختبرات الجدل وسيطرت عليهم عقلية خَلق القرآن بدلا عن عقلية خُلق القرآن"[1].

المجال الثاني وهو مجال علم الأصول حيث عُرف القرآن الكريم باعتبار جانبه اللفظي وهو الجانب الذي يعنى به علماء الأصول لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام، ويشاركهم في هذه العناية الفقهاء وعلماء اللغة لأن معرفة الأحكام وكذا الإعجاز ووجوه المعاني كل ذلك لا يتم إلا بألفاظ .

[1]- مجلة الواضحة:العلوم الشرعية بين المدارسة والممارسة ،عدد17، ص75-76.

ومن التعريفات الأولى ضمن هذا المجال تعريف الغزالي (ت: 505ه): "وحدّ الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة نقلا متواترا"[1].

يليه تعريف علي عبد الكافي السبكي (ت: 756ه): "الكلام المترل للإعجاز بسورة منه"[2].

وتعريف الكمال بن الهمام (ت: 861ه): "اللفظ العربي المترَّل للتدبُّر والتذكُّر المتواتر"[3].

وأيضا تعريف الزركشي (ت: 794ه): "هو الكلام المترَّل للإعجاز بآية منه، المتعبَّد بتلاوته"[4].

وتعريف الشوكاني (ت: 1250ه): "الكلام المترل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلا متواترا"[5]

ولقد سار المتأخرون بل المعاصرون على منوال السابقين في تعريف القرآن الكريم بهذا الاعتبار، لا يستثنى منهم علماء القرآن الذين ظلوا عالة على الأصوليين في هذا التعريف وكثيرا ما يصرحون بالنقل عنهم، من ذلك مثلا:

تعريف صبحي الصالح: "هو الكلام المعجز المترل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"[6] .

---

[1]- المستصفى:81/1.

[2]- الإبهاج في شرح المنهاج:190/1، ومثله تعريف الأسنوي (ت772ه) ، انظر شرح البدخشي ومعه شرح الأسنوي:216/1.

[3]- التقرير والتحبير في علم الأصول:283/2.

[4]- البحر المحيط: 178/2.

[5]- إرشاد الفحول: 141/1.

[6]- مباحث في علوم القرآن: ص21

وتعريف نور الدين عتر:" القرآن هو كلام الله المترل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه"[1].

وتعريف فضل عباس الذي عزاه إلى جمهرة العلماء: "فقالوا هو كلام الله المترل على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المعجز المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر"[2].

أما المتقدمون من علماء القرآن فقد خلت أبرز كتبهم[3] ومعها مقدمات تفاسيرهم ـــ إلى حدود القرن العاشر الهجري خاصة[4] ـــ من التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم، مثل: كتاب "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" لأبي الفرج بن الجوزي (ت: 597هـ)، و"المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" لأبي شامة المقدسي (ت: 665هـ)، و"البرهان في علوم القرآن" للزركشي، و"الإتقان في علوم القرآن " للسيوطى (ت: 911هـ).

ولعل هؤلاء غلب عليهم الشعور بعظمة القرآن الكريم ووجدوا أن مثل تلك التعريفات غير مجدية لأن كتاب الله تعالى أكبر من أن تحده حدود أو ترسم حقيقته تلك العبارات، وإنما احتيج إلى تعريفه في مجالات علوم أخرى ـــ عدا علوم القرآن ـــ خدمة لمقاصد خاصة في تلك العلوم كما قال وهبة الزحيلي في مقدمة تفسيره متحدثا عن القرآن الكريم: " وقد عرّفه علماء أصول الفقه لا بسبب الجهل به أو عدم معرفة الناس به وإنما لضبط ما يُتعبد به وما تجوز الصلاة به وما لا تجوز، ولتبيان أحكام الشرع الإلهي من حلال وحرام، وما يصلح حجة في استنباط الأحكام، وما يكفر جاحده وما لا يكفر"[5].

---

[1]- علوم القرآن الكريم: ص10.

[2]- إتقان البرهان في علوم القرآن: 50/1.

[3]- والمقصود الكتب الجامعة لأنواع متعددة من مباحث علوم القرآن.

[4]- بحسب اطلاعي وعلمي.

[5]- التفسير المنير: 15/1.

ومما قد يدل لذلك أننا نجد أشهر إمام في علوم القرآن وهو الإمام الزركشي قد عرف ـــ وباعتباره إماما في علم الأصول أيضا ـــ القرآن الكريم في كتابه الأصولي[1] في حين لم يورد مثل ذلك التعريف في كتابه الجامع لمباحث علوم القرآن.

ولعل هؤلاء العلماء أيضا سلكوا مسلكا آخر في التعريف إذ بحثوا بشكل متواصل جوانب متنوعة من القرآن الكريم، وبذلوا جهودا غير منقطعة في بيان ما يرتبط بهذا الكتاب الخالد من زوايا متعددة، وهي الجهود التي أثمرت جملة مباحث علوم القرآن:

فقد عرفوا القرآن باعتباره كلاما دالا على معنى فبينوا معانيه وكشفوا عن مدلولاته، والقرآن بهذا الاعتبار هو موضوع علم التفسير.

وعرفوا القرآن باعتباره نصا عربيا فكشفوا عن خصائصه اللغوية وبينوا مميزات مفرداته وتراكيبه ونحو ذلك مما هو موضوع جملة المباحث اللغوية في علوم القرآن الكريم.

وعرفوا القرآن باعتباره دليلا على نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فأبرزوا عظمة الوحي الإلهي ومفارقة كلامه عز وجل للكلام البشري وهو موضوع علم الإعجاز.

وعرفوا القرآن باعتبارات أخرى شكلت موضوعات علوم أخرى كتعريفهم القرآن باعتباره كلاما مقروءا ضمن علم القراءات أو باعتباره لفظا مكتوبا ضمن علم الرسم القرآني، أو باعتباره مصدراً من مصادر التشريع ضمن بحث آيات الأحكام...

ذلك فضلا عن أن علماء القرآن ـــ متقدميهم ومتأخريهم ـــ وضمن تعريفهم للقرآن الكريم خصصوا مباحث وأبواب في كتبهم للتعريف بأسماء وصفات القرآن الكريم وإن كان حديثهم في ذلك موجزا، كما اتجه بعضهم إلى جمع هذه الأسماء والصفات في كتب مستقلة منها على سبيل المثال: (شرح أسماء الكتاب العزيز)

[1]- سبق ذكر تعريفه الوارد في كتابه الأصولي البحر المحيط 178/2.

لابن قيم الجوزية (ت: 751ه) و(الهدى والبيان في أسماء القرآن) لصالح بن إبراهيم البليهي (ت: 1410ه).

كما كانت للمفسرين خاصة وقفات بين الفينة والأخرى مع تعريف القرآن الكريم وبخاصة عند التعرض للآيات المشتملة على هذه الأسماء والصفات، فيذكرون في ثنايا التفسير أن القرآن الكريم هو "الروح، أوحاه الله إلى جبريل، وجبريل روح نزل به على النبيّ صلى الله عليه وسلم"[1]، وهو "النور الإلهي الذي كشف الله به الظلمات"[2]، وهو "أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبينات"[3]، وهو "بصائر وهدى يهتدي به المؤمنون ورحمة لهم"[4]، وهو "بين في نفسه ومبين غيره من الأحكام والشرائع وسائر ما اشتمل عليه، أو مبين إعجازه وصحة أنه من عند الله"[5]، وهو "الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحق كله من عند الله تعالى المطلع على كل غيب وشهادة "[6]...

ولم يخل حديث هؤلاء جميعا ـــ علماء قرآن ومفسرين ـــ من أثر الجدل الكلامي والخلاف التاريخي حول ماهية كلام الله تعالى إذ نجد مثلا: (باب في أن القرآن غير مخلوق) ضمن كتاب ابن الجوزي (ت: 597ه) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أو (المقدمة العاشرة في أن كلام الله قديم أولا) ضمن تفسير النيسابوري (ت: 850ه)، و(الفائدة الرابعة في تحقيق معنى أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق) ضمن تفسير الآلوسي (ت: 1270ه)...

[1]- ضمن رواية أوردها الإمام الطبري عن ابن زيد عند تفسير الآية 15 من سورة الأعراف، انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تفسير الآية 15 من سورة الأعراف.

[2]- روح البيان: تفسير الآية 97 من سورة البقرة.

[3]- تفسير القرآن العظيم: تفسير الآية 203 من سورة الأعراف.

[4]- فتح القدير: تفسير الآية 199 من سورة الأعراف.

[5]- البحر المحيط: تفسير الآية 1 من سورة الشعراء.

[6]- روح المعاني: تفسير الآية 53 من سورة فصلت.

وعموما فقد بُذلت جهود في مجال التعريف بالقرآن الكريم، وما كُتب عن القرآن الكريم كثير منذ القرن الهجري الثاني وحتى يومنا هذا، فهل استطعنا من خلال هذه الجهود أن نستوعب حقيقة القرآن الكريم ؟ أم على العكس من ذلك لم نتمكن بعد من رؤية كل جوانبه وربما حصل هناك نوع من التراجع عن إدراك خصائصه ومميزاته الأمر الذي يقتضي مزيدا من الجهد واكتشاف مسالك جديدة في البحث أو التنبيه على أخرى قل من يطرقها.

1-2- القرآن الكريم: من التعريف الأصولي إلى التعريف القرآني

تبين من العرض السابق أن تعريفات القرآن الكريم المتداولة في علوم القرآن، والتي ينقلها اللاحق من العلماء عن السابق، هي ولا شك تعريفات جارية على طريقة الأصوليين في صياغة التعريف إذ المقصود من الجمع والمنع هو استقصاء الخواص الفاصلة والمميزة وليس البحث عن حقيقة الماهية كما يعبر أهل المنطق. وقد نبه عدد من الباحثين إلى أن القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعريفات المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا، وأن ما ذكره العلماء من تعريفه إنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه في أمر كمشاركة سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية في كونها وحيا إلهيا[1]، ولذلك قل ما تجد تعريفا للقرآن الكريم منفصلا عن ذكر الفرق بينه وبين سائر وحيه تعالى.

[1]- انظر النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ص43 + مباحث في علوم القرآن ص 15.

كما ظهر الاتفاق في قول إن القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، وهو ما اختاره البعض[1] في حين اختار البعض الآخر زيادة قيود أخرى رآها مفيدة في مطلوبه، وهي قيود من قبيل الأوصاف كالإعجاز والكتابة والتواتر أو من قبيل الغايات كالتدبُّر والتذكُّر وأيضا الإعجاز والإنزال.

هذه القيود لم تخل من بعض المآخذ[2] نذكر منها:

ـــ أن بعضها يمكن الاستغناء عنه إذا ذُكر بإزاء البعض الآخر كقيد الكتابة في المصحف مع قيد التواتر فكلاهما مقصود به تمييز القرآن الكريم عن القراءات الشاذة، قال الإمام الآلوسي (ت: 1270هـ): ".. وكذا من قال كالغزالي أنه ما نقل بين دفتي المصحف تواترا أراد تخصيص الاسم بأحد الأقسام الثلاثة مما نقل بين الدفتين ومما لم ينقل كالمنسوخ تلاوته ... وما نقل و لم يتواتر نحو ثلاثة أيام متتابعات ليعلم أن ذلك هو الدليل وعليه الأحكام من نحو منع التلاوة والمس محدثا"[3].

ـــ وبعضها غير لائق أن يُعرف به القرآن الكريم كتعريفه بأنه لفظ، ففضلا عن أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن ولا أخبر سبحانه وتعالى أن القرآن لفظ، فدلالتها في اللغة لا تناسب كلام الله تعالى وأولى منها (كلام).

ـــ وبعضها يلزم منه دورا إذ ذكر فيه ما يتوقف تعريفه على معرفة القرآن كالسورة والآية.

[1]- انظر تعريف فهد الرومي في كتابه دراسات في علوم القرآن ص 23، والتعريف الذي اختاره مناع القطان وقد نسبه للعلماء في كتابه مباحث في علوم القرآن ص 16.

[2]- انظر إرشاد الفحول: 141/1-142-143 + روح المعاني/المقدمة: الفائدة الرابعة.

[3]- روح المعاني: 8/1.

ـــ وبعضها لا دليل عليه كالإخبار بأن القرآن مترل للإعجاز، والذي دل عليه القرآن الكريم ومعه السنة النبوية الشريفة أن القرآن معجز، والفرق واضح بين الوصف والغاية...

ودون أن نسترسل في ذكر هذه المآخذ والملاحظات إذ القصد هو التنبيه على عدم كفاية التعريفات المتداولة ـــ مع هذه القيود مجتمعة ـــ في رسم الصورة الحقيقية للقرآن الكريم لأنها تعريفات لا تعنى أساسا إلا بالملامح الظاهرية والوجود اللفظي لهذا الكتاب الخالد، ولا تلامس في الغالب مضمونه ومقاصده وخواصه المعنوية، وبعبارة أخرى هي تعريفات "من يرى أن القرآن كتاب حاو لسور مفصلة تتضمن عبادات ومعاملات، وهي رؤية ولا شك ذات طابع ثبوتي لا يولي كبير عناية لما يعنيه القرآن من فيض ما له من نفاد"[1] وما يدل عليه كونه كتاب هداية للتي هي أقوم في كل مجالات الحياة الإنسانية.

وإذ القصد ههنا ليس هو الإتيان بعبارات أخرى أو جلب مصطلحات بديلة لصياغة تعريف محدد لماهية القرآن، يكفي القول إن وضع تعريف القرآن الكريم في العلم لم يتجاوز في عمومه تلك النظرة التقليدية التي تجعل من تعريف المصطلح مقدمة ومدخل لدراسة المباحث المرتبطة به، و لم يأخذ الحجم الذي يستحقه من حيث تأثيره في تلك المباحث، وحتى مع وجود مباحث تعنى بأسماء القرآن الكريم وصفاته فقد ظلت أغلبها مفتقرة إلى العمق والجدة المطلوبين في كل دراسة مفيدة، كما ظلت إشارات المفسرين بشأن هذا التعريف في حاجة إلى من يجمع شتاتها ضمن خيط ناظم لها.

أضف إلى ذلك وبالنظر إلى أن الأمة في واقعها المعاصر –المعرفي وغير المعرفي– تعيش حالة هجر للقرآن الكريم، ترد أسئلة مهمة تشغل بالنا مثل: ما مدى ملاءمة تلك التعريفات مع حاجات الأمة وأسئلتها المتجددة ؟ وهل يمكن التعويل عليها في

[1] –العلوم الإسلامية أزمة منهج أم أزمة تنزيل/المفسر الحديث والوحي: ص101 (بتصرف).

الإقناع بهذا القرآن الكريم وتقديم رؤيته الصحيحة في عصر يشهد تحديات من التشويه والتشكيك في كثير من قيمه وحقائقه ؟ إلى أي حد تفيد المعرفة الحالية بالقرآن الكريم في الرجوع إلى القرآن الكريم وربط الصلة به من جديد؟ ما السبيل إلى معرفة تقرب القرآن من العقول والقلوب؟...

إلى غير ذلك من أسئلة تقود الردود عليها إلى الاقتناع بضرورة تجديد تعريفنا للقرآن الكريم وتكميل ما قامت به الأجيال المسلمة السابقة خدمة لهذا الكتاب العظيم، مؤمنين في ذلك بأنه ما من كلمات تصلح للتعبير عن حقيقة القرآن كاملة -هما اجتهدنا في الصياغة والتركيب- اللهم إلا إذا كان المتكلم بها هو رب العزة الذي أخبرنا قائلا: (قُل لّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لّكَلِمَاتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)[1].

"وحاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه... وكيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقانا ونورا مبينا للناس في جميع ما يحتاجون ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج! وقال تعالى: (وَالّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنَا)[2] الآية وأي جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه! وأي سبيل أهدى إليه من القرآن!" [3]. وقبل أن نتطرق لمقصودنا من هذا التعريف القرآني وتصورنا لأهميته وفوائده كما هو موضوع المحور الآتي من البحث، تجدر الإشارة إلى أن الأمة لم تخل من مجددين في هذا الشأن، إذ تعالت أصوات داعية إلى توسيع رؤيتنا إلى القرآن بما يتلاءم مع حاجات المرحلة الراهنة، كما ظهرت محاولات في تجديد تعريف القرآن تجاوز فيها أصحابها حدود تلك القوالب الجامدة من التعريفات المتداولة[4]، وهي

[1]- الكهف: 109.

[2]- العنكبوت: 69.

[3]- الميزان في تفسير القرآن: 14/1.

[4]- قدم بديع الزمان النورسي تعريفا مطولا للقرآن الكريم لا يسع المجال هنا لعرضه، وقد قام الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله بشرحه واستخلاص فوائده ومقاصده، ومما ورد من كلامه أن النورسي كان يحاول تعريف

دعوات ومحاولات على أهميتها مازالت تفتقر إلى تحقيق التراكم اللازم لإنضاجها وتداولها في العلم واستقرارها في الدرس.

2- تعريف القرآن للقرآن: نحو آفاق واسعة لخدمة علوم القرآن

يشمل الحديث عن تعريف القرآن للقرآن في علاقته بمباحث علوم القرآن جانبين، أحدهما نظري يتناول المقصود من تعريف القرآن للقرآن وأهميته وفوائده، والآخر تطبيقي يقتضي عرض نماذج من تلك المباحث نكشف من خلالها تلك الأهمية والفوائد.

2-1- تعريف القرآن للقرآن: المفهوم والأهمية والفوائد

تعريف من فعل عرف الذي صيغ على وزن فعل للدلالة على التعدية وهو ما يقتضي وجود فاعل (المُعرِف) ومفعول به (المُعَرف)، وكل من الفاعل والمفعول به ههنا هو القرآن بدلالة حرف اللام المستعملة في التركيب إذ الأصل عَرفَ القرآنُ القرآنَ.

فالمقصود من تعريف القرآن للقرآن في هذا البحث هو اعتماد القرآن الكريم مصدرا لاستقاء المادة التعريفية للقرآن الكريم كما تفيده الدلالة اللغوية للجملة، ولا نستثني بذلك مصادر أخرى مثل السنة النبوية الشريفة لأنها غير مقصودة هنا.

والمقصود من تعريف القرآن للقرآن هو طلب حقيقة القرآن الكريم من القرآن الكريم نفسه، وعلى لسان رب العزة الذي خصص حديثا طويلا عن هوية هذا القرآن

القرآن من حيث هو رسالة ربانية، تحدد غاية الوجود البشري في الكون، وتلخص قصة التكوين، وترسم للإنسان مدار فلكه الذي ينبغي له أن يسلكه إلى ربه، ولذلك تضمن هذا التعريف برأيه ثلاث وحدات معنوية كبرى: كونية القرآن الكريم، ورساليته وغايته التعبدية ، فضلا عن عرضه الكثرة من عين الوحدة، وكلها صادرة عن جملة واحدة هي جوهر التعريف وهي أن القرآن كلام رب العالمين. انظر: إشارات الإعجاز 22/5 + القرآن العظيم مصدراً للتربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية ،ع3.

.

وطبيعته وموضوعه ووظيفته والغاية منه وما إلى ذلك من بيانات يحتاج جمعها وبحثها إلى جهود كبيرة ومتواصلة، يكفينا منها هنا ما يدل لحضور هذا التعريف ويشهد بكفايته وقدرته على تحصيل المطلوب.

لقد عرف القرآن الكريم هويته وجنسه بأنه كلام وقول ووحي: (وَإِنْ أَحَدٌ مّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّىَ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ)[1]، (وَاتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبّكَ) [2]، (إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) [3]..

وعرف اسمه بأنه "قرآن"و "كتاب" و"فرقان" و"ذكر": (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ)[4]، (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ)[5]، (تَبَارَكَ الّذِي نَزّلَ الْفُرْقَانَ)[6]، (إِنَّا نحن نزّلنا الذِّكرَ وإنّا لهُ لَحافظونَ)[7]..

وعرف مصدره بأنه: (اللّهُ الّذِي نَزّلَ الْكِتَابَ)[8]، و(وَإِنّهُ لَتَنزِيلُ رَبّ الْعَالَمِينَ)[9] ..

وعرف وصفه الدال على فضله ووظيفته وغايته بأنه "مبين" و"مبارك"، و"حكيم" و"كريم"، و"مجيد" و"هدى" و"شفاء" و"رحمة" و"بشرى"..: (طسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مّبِينٍ)[10]،(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ)[11]، (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

[1]- التوبة: 6.
[2]- الكهف: 27.
[3]-.الحاقة: 40 + التكوير: 19.
[4]- يونس: 37.
[5]- البقرة: 1.
[6]- الفرقان: 1.
[7]- الحجر: 9.
[8]- الأعراف: 196.
[9]- الشعراء: 192.
[10]- النمل: 1.
[11]- ص: 29.

الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ)[1]، (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىَ لِلْمُسْلِمِينَ)[2]، (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)[3]..

وعرف خصائصه ومميزاته عن غيره من الكتب: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)[4]، (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىَ عَلَىَ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)[5]، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىَ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)[6]، (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ)[7]..

إلى غير ذلك من التعريفات الواردة في القرآن الكريم. ذكر صاحب أوضح التفاسير ضمن تفسيره لسورة المائدة "....كأنّ سائلاً سأل: ما هو القرآن؟ وما فائدته؟ وما جدوى نزوله؟ فقيل له: هو (كِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[8] وهو تعريف عرّف به القرآن مترله تعالى، العالم بأسراره وأنواره، الواضع لمعالمه وأحكامه، وهذا التعريف بالقرآن خير مما عرفه به الأصوليون.." [9] لأنه برأيه تعريف "جاف، خال من الروح والروعة الواجبة، وخير التعاريف به: تعريف مترله ومبدعه تعالى شأنه"[10].

---

[1]- لقمان: 2.

[2]- النحل: 102.

[3]- الإسراء: 82.

[4]- المائدة: 48.

[5]- الإسراء: 106.

[6]- الفرقان: 1.

[7]- العنكبوت: 49.

[8]- المائدة: 15-16.

[9]- أوضح التفاسير: 6/129-130.

[10]- المرجع السابق نفسه.

وهذا التعريف القرآني هو بلا شك أوثق وأصدق وأدق وأشمل وأوضح التعريفات لأنه تعريف رب العالمين الذي أحاط علمه بكل شيء، وهو سبحانه المتكلم به (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً)[1]، وفي طلبه اتباع لتوجيهه عز وجل إلى حقيقة كتابه، كتابه، وسير وفق إشاراته المرشدة إليه والتي تكررت في بدايات عدد من السور منها في سورة البقرة: (الَمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لّلْمُتّقِينَ)[2]، وفي الأعراف: (الَمَصَ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ..)[3]، وفي يونس: (الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)[4]، وفي وفي يوسف: (الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)[5]...

ومن فوائده في العلم[6] خاصة أنه يكفل:

- الاغتراف من نبع صافي لم تكدره الشوائب المتنوعة، فرؤية القرآن الكريم متعالية عن أي تأثير مذهبي أو طائفي أو واقعي..
- الاعتماد على أفضل المناهج الموصلة إلى المطلوب، فإذا كان الغرض هو معرفة القرآن معرفة حقيقية لها أثرها وفعاليتها في العلم، فإن أفضل الطرق إليها هو ما دل عليه القرآن الكريم.
- الانفتاح على آفاق واسعة ومتجددة في العلم والمعرفة باعتبار أن عطاء القرآن دائم وكلماته لا تنفد وعجائبه لا تنقضي.
- الرشد في القول والسداد في الرأي والعمق في النظر لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ومن هدايته توفيقه إلى

[1]- النساء: 87.

[2]- البقرة: 1-2.

[3]- الأعراف: 1-2.

[4]- يونس: 1.

[5]- يوسف: 1.

[6]- لا يعنينا هنا أن نتحدث عن أهمية التعريف وفوائده العملية والسلوكية.

المعرفة الصحيحة والبيان الخاص الذي لا يهبه إلا من أدرك حقيقة القرآن مصداقا لقوله تعالى: (وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1].

- القدرة على دفع الشبهات ورد الأباطيل والتصدي للهجمات والجهاد بالقرآن امتثالا لقوله تعالى: (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)[2]، فلا نجاهد بما لا نعرف، ولا تُجدي في ذلك العواطف الجياشة وحدها ولا المحبة الخالصة للقرآن الكريم دون قدرة علمية عالية وتسلح بمنهجية قويمة.

2-2- تعريف القرآن للقرآن وخدمة مباحث علوم القرآن

علوم القرآن هو المجال الأوسع لعرض جملة من المباحث التي يستدعي النظر فيها الرجوع إلى رؤية القرآن للقرآن: فموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، ومفاتيح الدخول إلى أبرز مباحثه مصطلحات قرآنية لا تبتعد في استعمالها وتداولها عن القرآن.

ومن ثم يثير هذا المحور جملة من الأسئلة منها: إلى أي حد روعيت هوية القرآن وطبيعته ووظيفته وغايته.. كما بينها القرآن الكريم في تناولات العلماء لتلك المباحث؟ ما مدى تحقق رؤية القرآن للقرآن في مضمون تلك المباحث؟ كيف تُسهم تلك الرؤية في تجديد العلم وتطويره؟ ما طبيعة الجهد الواجب بذله لكي نحفظ لهذا العلم قيمته وفائدته وفعاليته في العصر الحاضر؟

سنحاول ملامسة بعض الإجابات عن هذه الأسئلة من خلال عرض نماذج من مباحث العلم، نصنفها بحسب نوع الخدمة المرجوة فيها إلى:

مباحث تحتاج إلى تقويم وتصحيح

مباحث تحتاج إلى إثراء وإغناء

مباحث تحتاج إلى تأسيس وإضافة

2-2-1- التعريف القرآني وخدمة التقويم والتصحيح

[1]- الأنعام: 105.

[2]- الفرقان: 52.

لعل أكثر المباحث احتياجا إلى هذه الخدمة تلك التي تنبثق موضوعاتها من دلالة مصطلح ما من المصطلحات القرآنية، إذ يقع من الخلل والقصور في هذه المباحث بقدر ما يقع من الخطأ والانحراف في تلك الدلالة.

ولقد سبق الحديث عن جملة من الظواهر السلبية التي تعاني منها مصطلحات علوم القرآن عامة، والحديث هنا يخص المصطلحات القرآنية التي تجد لها استعمالا محددا ضمن تعريف القرآن الكريم، وهي في الوقت نفسه عناوين كبرى لقضايا ومباحث ليس فقط داخل هذا العلم بل وأيضا داخل علم الكلام وعلم أصول الفقه.

لذلك كان من أهم ما تعاني منه هذه المصطلحات ومعها المباحث المرتبطة بها تلك الشوائب من أثر النظر الكلامي تارة وأثر النظر الأصولي تارة أخرى، ونورد ههنا نموذجين من مباحث علوم القرآن أحدهما هو مبحث نزول القرآن والآخر هو المحكم والمتشابه:

فكيف يفيد التعريف القرآني للقرآن في تصحيح ما تسرب من خطأ في دراسة هذه المباحث ؟

ذلك ما استفدنا الإجابة عنه من عالم مُجدد في عصره هو الإمام ابن تيمية رحمه الله (ت: 728هـ) الذي خاض بجدارة معركة الدفاع عن دلالات مصطلحات القرآن بسلاح القرآن، وبين نظريا أن الخطأ كل الخطأ هو حمل كلام الله على غير ما أراده الله تعالى من معاني حادثة بعد النزول[1]، وأكد عمليا ومن خلال دراسة عدد من المصطلحات القرآنية أن "من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقا وخصوصا ألفاظُ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس"[2].

[1]- انظر في هذا المعنى على سبيل المثال لا الحصر : مجموع فتاوى ابن تيمية:7/71+77+ مقدمة في أصول التفسير: ص 52 .

[2]- مجموع فتاوى ابن تيمية: 7/109.

فأما عن نزول القرآن: فقد انطلق من قوله إنه "لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة"[1]، ويقصد معنى لفظ النزول وهو "هبوط شيء ووقوعه"[2] أو "انحطاط من علو"[3]، وهو المعنى الذي روعي في الاستعمال القرآني في شتى موارده سواء قُيد لفظ النزول بأنه من الله وهو ما لم يرد في غير القرآن، أو قُيد بأنه من السماء نحو (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً)[4]، أو لم يُقيد لا بهذا ولا بذاك كإنزال السكينة: (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ)[5]، وإنزال النعاس: (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً)[6] بدليل "أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السُّفْلِيَّات، فلم يقل: أنزل النبات ولا أنزل المرعى، وإنما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله الله من ذلك المحل.."[7].

واستحضر أساسا ـــ بالإضافة إلى هذا الدليل اللغوي ومعه الدليل العقلي أحيانا ـــ ما ورد من تعريف القرآن للقرآن بأنه "تنزيل" و"مُنزل" من الله تعالى، وأنه "قول رسول كريم" وأنه "كتاب" و"قرآن" و"بلسان عربي مبين".. في آيات عديدة مثل قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[8]، وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مُّنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)[9]، وقوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)[1] و(إِنَّهُ و(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[2].

---

[1]- مجموع فتاوى ابن تيمية: 173/12.

[2]- مقاييس اللغة: نزل.

[3]- المفردات للراغب: نزل.

[4]- المؤمنون: 18.

[5]- الفتح: 4.

[6]- آل عمران: 154.

[7]- مجموع فتاوى ابن تيمية: 169/7.

[8]- الشعراء: 192-195.

[9]- الأنعام: 114.

ليخلص إلى إبطال جملة من الأقوال الواردة في تفسير معنى نزول القرآن وما يرتبط به من كيفية منها:

قول إن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل هو مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما.

قول إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره... قول إن نزوله بمعنى الإعلام به وإفهامه للملك، أو نزول الملك بما فهمه.

وقد حقق من خلال كل ذلك أن القرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه، والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنًا وكتابًا وكلامًا، وهو منزل من الله، والذي أنزله الله هو الذي نزله روح القدس الموصوف بالأمانة، فلا يكون شيء منه نزله من الهواء أو من اللوح أو من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا غيرهما[3].

ونبه إلى أن هذا التحقيق" لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[4] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك مُنَجَّمًا مفرقًا بحسب الحوادث، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى: (بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[5]... فإن كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان

---

[1]- النحل: 102.

[2]- التكوير: 19-21.

[3]- مجموع فتاوى ابن تيمية: 67/12 فما بعدها + ج133 فما بعدها .

[4]- القدر: 1.

[5]- البروج: 21-22.

قد أنزله مكتوبًا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن يتزله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف..." [1].

لقد جاءت دراسة ابن تيمية في معرض مناقشاته للأقوال الرائجة في زمنه من أقوال الفرق المختلفة من كلامية وفلسفية إذ رد عليها بما يلائم حقيقة القرآن الكريم كما بينها القرآن الكريم.

وهي الحقيقة التي كان ينبغي أن نعمل على تثبيتها في الدرس القرآني[2] ونحتاج اليوم إلى إشاعتها وتأكيد أن القران (مُنزل) و(تتزيل)، وأنه مع علو مصدره مرتبط بالواقع ومتصل بحاجات الناس فيه، ومواجهة بذلك محاولات النيل من قدسيته والتشكيك في صلاحيته لكل زمان ومكان.

ولا يُفيدنا بذلك أن نستصحب تلك الأقوال الواضح بطلانها أو على الأقل خروجها عن سياقنا الفكري و التداولي.

وأما عن مبحث المحكم والمتشابه: فهو من أشهر المباحث التي توزعتها أنظار الأصوليين وعلماء الكلام وعلماء القرآن، فعرف بذلك تعددا في المذاهب وتنوعا في الآراء وتباينا في الغايات والمقاصد، والمبحث يخص معنى كل من الإحكام والتشابه الوارد في الآية السابعة من سورة آل عمران[3]، والتي يفيد ظاهرها أن القرآن فيه آيات

---

[1]- مجموع فتاوى ابن تيمية: 72/12.

[2]- ساق الإمام السيوطي تلك الأقوال الغريبة في معنى نزول القرآن وكيفيته في كتابه الإتقان في علوم القرآن بما يوهم القارئ أنها أقوال لأهل علم ويحتملها النظر. انظر الإتقان في علوم القرآن/ النوع السادس عشر في كيفية إنزاله/ المسألة الثانية في كيفية الإنزال والوحي.

[3]- قال تعالى: (هُوَ الّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مّحْكَمَاتٌ هُنّ أُمّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمّا الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللّهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا يَذّكّرُ إِلاّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ).

محكمات وأخر متشابهات على خلاف موارد أخرى حيث وُصف القرآن كله بأنه محكم كما وُصف بأنه متشابه[1].

فلا تكاد تعثر في كتب علوم القرآن ومعها كتب المفسرين على تصور بشأن هذا المبحث يمكن اعتباره التصور المتفق عليه في الدرس القرآني، وغالبا ما ينحصر الحديث في عرض الأقوال المتعددة في معنى كل من الإحكام والتشابه، وفي أحسن الأحوال الترجيح بين تلك الأقوال وجمع وترتيب الأدلة المذكورة على الرأي المختار.

لذلك كان من أول ما يظهر من الخلل والقصور في هذا المبحث تكرار ورود الأقوال السابقة بالرغم من وضوح بطلان أكثرها، وقد وجدنا من أوصل عدد تلك الأقوال إلى إحدى عشر[2]، بل من أوصلها إلى ستة عشر[3].

أضف إليه سيطرة المعاني الاصطلاحية الحادثة عند الخلف على معنى كل من الإحكام والتشابه، والتي أثارت من القضايا ما استشكل أمره وصعب ضبطه خصوصا إذا لوحظت علاقة هذا المبحث بمفهوم التأويل الوارد في الآية نفسها من سورة آل عمران والذي لم ينج هو الآخر من تلك السيطرة.

قال الإمام الرازي (ت: 606هـ) وهو أفضل من يمثل الاتجاه الأصولي في تفسير المحكم والمتشابه:" اللفظ إذا كان محتملا لمعنيين وكان بالنسبة إلى أحدهما راجحا وبالنسبة إلى الآخر مرجوحا، فإن حملناه على الراجح و لم نحمله على المرجوح

[1]- قال تعالى: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود: 1 ، وقال تعالى: (اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مّتَشَابِهاً مّثَانِيَ) الزمر: 23.

[2]- انظر إتقان البرهان في علوم القرآن: ص 488-489، وأشار المؤلف إلى نقله للأقوال المذكورة من كل من تفسير "التحصيل في التفصيل" للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

[3]-انظر الميزان ج 3 من ص37 إلى ص47.

فهذا هو المحكم وأما إن حملناه على المرجوح و لم نحمله على الراجح فهذا هو المتشابه..." [1].

ودون حاجة إلى التفصيل أو قصد إلى الترجيح فقد انتهى جهد الدارسين في التصحيح والتصويب إلى اختزال الآراء في معنى التشابه الوارد في الآية السابعة من سورة آل عمران في رأيين أساسيين:

أولهما: التشابه الحاصل في نطاق علاقة اللفظ بمفهومه اللغوي، أي ما اشتبه منه المراد لاحتماله وجوها من المعاني، وهو يقتضي كون التأويل من قبيل التفسير وأيضا قراءة الآية بالوقف على قوله تعالى: (وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)[2] لتفيد عدم خفاء معاني الآيات على الراسخين في العلم.

ثانيهما: أن التشابه المقصود حاصل في نطاق تجسيد الصورة الواقعية والمصداق الخارجي لذلك المفهوم اللغوي، وهو يقتضي كون التأويل من قبيل الوقوع الفعلي و"الحقيقة التي يؤول إليها الكلام"[3]، وأيضا قراءة الآية بالوقف على قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللّهُ)[4] لتفيد استئثار الله تعالى بعلم حقيقة بعض الأمور كما هي في الواقع والتي جاء الخبر عنها واضحا في الآيات.

ومن أنصار هذا الرأي الإمام ابن تيمية، ويُعد جهدُه مؤسسا للخطوات الجادة في الموضوع، وأهم ما قدمه هو المنهج المعتمد في التصحيح والتصويب ونميز فيه بين جانبين:

– الجانب الذي عرف إضافات متميزة وحظي بعناية الباحثين به وهو الجانب المرتبط بتفسير الألفاظ القرآنية وتنبيهه المستمر على ضرورة مراعاة الاستعمال القرآني

[1] – مفاتيح الغيب: تفسير الآية 7سورة آل عمران.

[2] – آل عمران: 7.

[3] – مجموع فتاوى ابن تيمية: 37/3.

[4] – آل عمران: 7.

في ذلك التفسير، ولذلك كان من أهم منطلقاته في فهم التشابه في آية آل عمران الرجوع بلفظ التأويل إلى دلالته المرادة منه في كلام الله تعالى.

– والجانب الثاني وهو الذي نجد له ارتباطا بالتعريف القرآني للقرآن من خلال اعتماد هذا الإمام على ما ذكر القرآن الكريم من بعض خواصه لتعزيز رأيه ودفع ما لا يليق بكمال كلامه تعالى وقدسيته، وهذا الجانب هو ما نحتاج إلى تجليته ويعنينا بيان أهميته وفائدته.

قال الإمام ابن تيمية بعد عرضه لأقوال الطوائف في تصورهم للمتشابه: (.. والمقصود هنا أن كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن، يجعلون تلك النصوص من المتشابه، ثم إن كانوا ممن يرى الوقف عند قوله: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللّهُ) قالوا لا يعلم معناها إلا الله، فيلزم ألا يكون محمد وجبريل ولا أحد علم معاني تلك الآيات والأخبار، وإن رأوا أن الوقف على قوله: (وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمون هم تأويلا، ويقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بعقولهم وأذهانهم، ويجتهدون في تخريج ألفاظه على اللغات العربية... وبين أن لفظ التأويل في الآية إنما أريد به التأويل في لغة القرآن.." [1]، ونفى تبعا لذلك أن يكون المقصود من المتشابه في الآية ما لا يعلم معناه مبطلا القول الأول بتأكيده أن لا أحد من الأئمة قال إن الرسول لم يكن يعرف معاني آيات الصفات وأحاديثها أو قال إن الصحابة والتابعين لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه وتساءل: "كيف وقد أمر الله بتدبر كتابه.. ولم يقل بعض كتابه.. وأنه جعله نورا وهدى لعباده، ومحال أن يكون ذلك مما لا يفهم معناه.."[2]، كما رأى أن أصحاب القول الثاني "لم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى كما وصف الله به كتابه ونبيه حيث قال: (هُدًى لّلْمُتّقِينَ)[3]، وقال (هَذَا بَيَانٌ لّلنّاسِ)[1]،

[1]– مجموع فتاوى ابن تيمية: 17/198-199.
[2]– مجموع فتاوى ابن تيمية: 4/46.
[3]– البقرة: 2.

وقال: (إِنّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لّعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2]، وقال: (وَمَا عَلَى الرّسُولِ إِلاّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)[3]، وقال: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ)[4] وأمثال ذلك.." [5].

ومن الإشارات المتقدمة في الوعي بهذا المنهج ما ورد من تفسير الآية عند الإمام الطبري إذ قال: "وأما المحكمات: فإنهنّ اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه..." [6]، وكونها أم الكتاب: "يعني بذلك أنهنّ أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم، وإنما سماهنّ أم الكتاب لأنهنّ معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه..."[7]، وأضاف مستحضرا وصف القرآن الكريم بالبيان موضحا هذا الوصف بما لا يتنافى مع وجود ما أخفى الله تعالى علمه عن الناس: "وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما أنزله عليه بيانا له ولأمته وهدى للعالمين، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل، فإذا كان ذلك كذلك فكل ما فيه لخلقه إليه الحاجة وإن كان في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى وإن اضطرته الحاجة إليه في معان كثيرة، وذلك كقول الله عز وجل: (يَوْمَ يَأتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إِيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْرا)[8]، فأعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم

---

[1]- آل عمران: 138.
[2]- يوسف: 2.
[3]- النور: 54 + العنكبوت: 18.
[4]- إبراهيم: 1.
[5]- مجموع فتاوى ابن تيمية:194/17.
[6]- جامع البيان: تفسير الآية 7 سورة آل عمران.
[7]- المصدر السابق نفسه.
[8]- الأنعام: 158.

أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك هي طلوع الشمس من مغربها، فالذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعد بالسنين والشهور والأيام، فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب، وأوضحه لهم على لسان رسول صلى الله عليه وسلم مفسّرا، والذي لا حاجة لهم إلى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا، وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه فحجبه عنهم ..."[1].

ونطالع في هذا الصدد جهدا معاصرا وهو للدكتور طه العلواني في بحثه (نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه)، وبغض النظر عن مدى قبول تفسيره للمحكم والمتشابه، فإن ميزة هذه الدراسة تتجلى في كونها محاولة للتطبيق على المنهج، ومما جاء من قوله منبها على أهمية استحضار خاصية الإعجاز ـــ من جملة خواص أخرى نبه عليها في مواضع متفرقة[2] ـــ "الإعجاز البنائي على أهميته هو وعاء للإعجاز للإعجاز المعنوي، فالإعجاز المعنوي هو مصدر تجدد هذه المعجزة وتدفقها وعطائها المستمر للإنسان في أي زمان أو مكان أو ظرف، فالانطلاق من هذه المسلمة له دور كبير في فهم المحكم والمتشابه، فآيات القرآن هي دلائل ومعجزات تتحدى الخلق أن يأتوا بمثلها سواء أكانت آيات محكمة أو متشابهة، وهذا التحدي وثبوت العجز البشري خصائص لهذه الآيات دائمة مستمرة في كل زمان ومكان"[3] .

نخلص إلى أن الآيات المتشابهة كما الآيات المحكمة ـــ في الآية السابعة من سورة آل عمران ـــ لا تخرج عن وصف الله تعالى لها ـــ في موارد أخرى ـــ

[1]- جامع البيان: تفسير الآية 7 سورة آل عمران.

[2]- انظر على سبيل المثال لا الحصر: نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه ص 11+23+33.

[3]- المرجع السابق نفسه: ص 50.

بالإحكام والتشابه والإبانة والهداية والإعجاز.. وأي تفسير لمعنى التشابه والإحكام في هذه الآية لا يستصحب هذا الوصف هو تفسير غير مقبول يوهم بوجود الاختلاف الذي نفاه الله تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً) [1]، ويكرس النظرة التجزيئية إلى القرآن الكريم وقد ذم الله عز وجل: (الّذِينَ جَعَلُواْ الْقُرْآنَ عِضِينَ) [2].

2-2-2- التعريف القرآني وخدمة الإغناء والإثراء

لا يستغني مبحث من مباحث علوم القرآن عن هذه الخدمة باعتبار أن المعلومات ـــ أيا كان تعلقها ـــ تخضع للتجديد والإضافة مع مرور الوقت وإلا انحسر نفعها أو تُجووِزت واستُبدلت بغيرها.

فما بالك لو كانت هذه المعلومات تخص القرآن الكريم الذي لا تنفد كلماته ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

لا شك أن أي مبحث يدرس هذا الكتاب الخالد من جهة كلماته أو نظمه أو إعجازه أو بيانه...هو مرتع خصب على الدوام لخدمة الإغناء والإثراء.

ومن أبرز المباحث التي نتصور إغنائها انطلاقا من حديث القرآن عن القرآن مبحث (أسماء وصفات القرآن الكريم) ومعه مبحث (خواص القرآن) و(فضائل القرآن).

إن من أهم ما ينبغي أن تتوجه إليه الهمم وتُبذل فيه الجهود العمل على تقديم القرآن الكريم تقديما يليق من جهة بعظمته وعلو مكانته، ويناسب من جهة أخرى مستوى تطور عقل الإنسان اليوم وما ينتظره من إجابات عن أسئلته الملحة في هذا العصر.

[1]- النساء:82.

[2]- الحجر: 91.

ومن ثم وجبت العناية ببحث (أسماء وصفات القرآن الكريم) لما له من فائدة في الدلالة على القرآن الكريم ورسم ملامح كثيرة من صورته الحقيقية.

وهي الصورة التي نقتنع بضرورة استحضارها لخدمة ليس فقط مبحث (تعريف القرآن الكريم)[1]، بل وأيضا مباحث أخرى كثيرة، والتقدم بالعلم خطوات إلى الأمام.

وسبق أن استدللنا على هذه القناعة عند الكلام على خدمة التصحيح والتقويم، ونضيف ههنا خدمة الإثراء والإغناء.

إن الناظر في واقع مبحث (أسماء وصفات القرآن الكريم) ـــ قديما وحديثا ـــ يجد أن هذا المبحث لا يتجاوز كونه بحثا تخصصيا عُني بعدد الأسماء والصفات الواردة في القرآن الكريم[2] ـــ أو في السنة النبوية الشريفة ـــ وذكر معانيها اللغوية ودلالاتها المستعملة في موضعها، وكل ذلك بإيجاز شديد لم يرق معه البحث إلى مستوى ما نطمح إليه من كون تلك الأسماء والصفات إنما هي موجهات ومنبهات إلى حقيقة القرآن الكريم وما يشتمل عليه من خير يسعد به الإنسان في الدنيا قبل الآخرة.

فالقرآن هدى لأن مضمون هذا الكتاب وهدفه هداية الناس وإرشاد البشرية: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)[3]، وهي هداية شاملة لجميع مجالات حياة الإنسان فردا وجماعة ومستوعبة للبعدين

[1]- وهو ما سبقت الإشارة إليه ضمن المحور السابق.

[2]- ذكر الإمام الزركشي (ت: 794هـ) أن الحرالي (ت: 647هـ) أنهى أسامي القرآن إلى نيف وتسعين اسما، وأن القاضي أبو المعالي العزيزي (ت: 494هـ) أوصلها إلى خمسة وخمسين (انظر البرهان في علوم القرآن: ص191)، وقرر الفيروزآبادي (ت: 817هـ) في بصائره أن الله تعالى ذكر للقرآن مائة اسم (بصائر ذوي التمييز: ج1ص88).
واتجه المحدثون إلى الاقتصار على عدد قليل من الأسماء (ما بين الثلاثة والخمسة) معتبرين أن ما نُقل عن القدماء هو من قبيل الأوصاف (مثل مجيد ـــ كريم ..) ، كما لا يخلو بعضه من التكلف مثل (منادي) في قوله تعالى "ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان" آل عمران: 193.

[3]- البقرة: 185.

الروحي والمادي معا، وبفضلها وحدها يبلغ الإنسان "الحق" و"الرشد" و"الطريق المستقيم" و"التي هي أقوم" وأصح وأسلم كما قال تعالى حكاية عن الجن: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1] و(فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ..)[2]، وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[3].

وغيرها قاصر عن تحقيق المطلوب وناقص في نوعه لأن الله تعالى أخبر معلما: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى)[4].

وبقدر ما يهتدي الإنسان ويسعى في العمل الصالح الصحيح، بقدر ما يزيده الله هدى ويمنحه العون والتوفيق فضلا منه تعالى ونعمة: (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[5]، وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُومِنِينَ)[6].

والقرآن" بيان"[7]، وكلام الله "المبين"[8]، و"آيات بَيِّنات"[9] و"مُبَيَّنات"[10]. وكان وكان تتريله على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "[11].

---

[1]- الأحقاف 30.

[2]- الجن : 1-2.

[3]- الإسراء: 9.

[4]- البقرة : 119.

[5]- البقرة :1

[6]- النمل : 79.

[7]- في قوله تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِين) آل عمران : 138.

[8]- في نحو قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ) يس : 68، (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) المائدة: 17.

9- في نحو قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَآ أَوْ بَدِّلْهُ) يونس:15.

[10]- في نحو قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مّبَيّنَاتٍ وَمَثَلاً مّنَ الّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لّلْمُتّقِينَ) النور:46.

[11]- النحل : 89.

ومن دلالات هذا الحضور الواسع لصفة البيان أن القرآن الكريم هو أداة البيان الإلهي الخالد وينبوعه الثر الخصيب، وأنه ظاهر ما جاء فيه من حقائق الدين ودلائل الهدى لا لبس فيه ولا غموض، ومُوضح للناس ما الحاجة إليه على الدوام، قد جمع الله فيه بين معنى الكتاب المُنزل والوحي المتلو، ومعنى المعجزة الشاهدة بأنه حق والآية الناطقة بصدق من جاء به، فلا مجال للشك في اشتمال كلام الله تعالى على أعلى درجات البيان سواء من جهة الدلالة على ثبوته وحقيته، أو من جهة الدلالة على مضامينه ومشتملاته.

والمسلمون بذلك قادرون على إيجاد الإجابات الشافية لمختلف أسئلة عصرهم إذا ما أقبلوا بصدق وإيمان على هذا القرآن وبحثوا بجد وعلم عن حقيقة ما يحمله من بيان للأمور في مجالات الحياة المتعددة.

كما أنهم هم قادرون على دفع حجج المنكرين وشبهات المشككين مهما تعددت هذه الحجج وتلونت تلك الشبهات لأن هذا القرآن العظيم مشتمل في ذاته على وسائل الإقناع به ودلائل صلاحيته لكل زمان ومكان، وهو مترّه عن أي نقص أو خلل لأنه آية الله البينة ومعجزته الخالدة التي تحدى بها الثقلين إلى يوم القيامة: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنّ عَلَىَ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[1]، وما عليهم إلا أن يعتقدوا بهذا التحدي ويسعوا جادين لاكتشاف صورته المناسبة لهذا العصر ولهذه الحضارة.

والقرآن "بصائر" و"رحمة" كما قال تعالى: (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنّمَآ أَتّبِعُ مَا يوحَىَ إِلَيّ مِن رّبّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رّبّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[2]، قال الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "وهذا تنويه بشأن القرآن وأنه خير من الآيات التي يسألوها ... وإنما جمع "البصائر" لأن القرآن أنواعاً من الهدى

[1]- الإسراء : 88.

[2]- الأعراف: 203.

على حسب النواحي التي يهدي إليها من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد وتسديد الفهم في الدين ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا والتحذير من مهاوي الخسران، وأفرد الهدى والرحمة لأنهما جنسان عامان يشملان أنواع البصائر فالهدى يقارن البصائر والرحمة غاية للبصائر، والمراد بالرحمة ما يشمل رحمة الدنيا وهي استقامة أحوال الجماعة وانتظام المدنية ورحمة الآخرة وهي الفوز بالنعيم الدائم كقوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَيَاةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[1].."[2] .

حقائق كثيرة تدل عليها هذه الأسماء والصفات تتعدى كونها مناقب دالة على الشرف والفضيلة[3] لتُفيد إعجاز القرآن الكريم ودوام حفظه وتجدد عطائه وإحاطته الشاملة للأمور وهدايته للتي هي أقوم في كل العصور...

وكلها خصائص لم تنل حظها من البحث اللازم لها على غرار مثلا الخصائص اللغوية والبلاغية للقرآن الكريم، ونحتاج اليوم إلى إبرازها وتوظيفها في العلم وتنزيلها في الواقع.

---

[1]- النحل:97.

[2]- التحرير والتنوير: تفسير الآية 203 سورة الأعراف.

[3]- قال الفيروز آبادي : "اعلم أنَّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمَّى، أو كمالِه فى أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماءِ الأسد دلَّت على كمال قوَّته، وكثرةَ أسماء القيامة دلَّت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الدَّاهية دلت على شِدة نِكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلَّت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دَلَّت على علّو رتبته وسموِّ درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه وفضيلته"، بصائر ذوي التمييز:1/88.

ولم يكن وضع مبحث (فضائل القرآن) و(خواص القرآن) بأفضل حال من مبحث (أسماء وصفات القرآن) إذ حصر علماء القرآن هذه الفضائل والخواص[1] على الجملة في:

- حفظ القرآن الكريم من الزيادة والنقص.
- الأجر الوافر والعطاء الجزيل في الدنيا والآخرة الذي يناله المشتغل بالقرآن الكريم قراءة وحفظا وتعلما وتعليما.
- الاستشفاء بالقرآن الكريم والاستعانة على دفع ضر بقراءة آيات من القرآن الكريم أو كتابتها على الورق وإلقاء الماء عليه وشربه.
- شفاعته لأهله.
- فضل سوره وآياته كفضل الفاتحة والبقرة و يس...
- ولم يعرف البحث اليوم في هذه الفضائل والخواص تقدما كبيرا إن لم يتعد جمع وترتيب ما ذكره المتقدمون[2]، اللهم إلا في صورة دراسات مستقلة ومقالات منشورة ومشاركات في ندوات علمية لم يكتب لها أن تُجمع وتُنقح وتُرتب وتُضاف خلاصتها إلى المبحث الخاص بها ضمن الكتب الجامعة لمباحث علوم القرآن.

[1]- وقد وردت أساسا ضمن مباحث في كتب جامعة لعلوم القرآن مثل مبحث (في معرفة فضائله) و(في معرفة خواصه) في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، و(النوع الثاني والسبعون في فضائل القرآن) و(النوع الخامس والسبعون في خواصه) في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

أو ضمن كتب مفردة للموضوع مثل: فضائل القرآن للنسائي وفضائل القرآن وتلاوته للرازي وفضائل القرآن لابن كثير.

وذلك بالإضافة إلى ورودها في في التفاسير وبخاصة ضمن مقدماتها إذ نجد مثلا في مقدمة تفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية (باب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن نبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به) ، ومقدمة تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان (ذكر فضائل القرآن)، وفي مقدمة (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (كتاب فضائل القرآن) ونحو ذلك.

[2]- لاحظ مثلا بحث "خواص القرآن دراسة نظرية تطبيقية" لمؤلفه **تركي بن سعد بن فهيد الهويمل**.

قال الدكتور فهد الرومي في كتابه الذي أفرده لبحث هذه الخصائص بعد أن لم يجد برأيه إلا "مُختصِرا مُقتصِرا أو مُخرفا مُشعوذا"[1]: "أريد بالخصائص كل ما يتميز به القرآن من كل وجه عن الحديث النبوي والأحاديث القدسية وسائر الكتب السماوية فضلا عن سائر كلام البشر، ويشمل هذا بلا شك كل ما يختص به القرآن دون غيره"[2]، وذكر منها خصائص في أسلوبه وطريقة تأليفه وحفظه اللغة العربية ومعارفه ووفائه بحاجات البشر وأنه لا يصادم الحقائق العلمية ومنهجه في الإصلاح ووقوع التحدي به وإعجازه وتأثيره في النفوس، بالإضافة إلى خصائص أخرى سبق المتقدمون إلى ذكرها[3].

وتحدث أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي عن (القرآن الكريم طبيعته ووظيفته) وكون (القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية) في محاضرات له نُشرت في كتيبات صغيرة الحجم كبيرة الفائدة.

ومما أوضح في المحاضرة الأولى مستفيدا من حديث القرآن عن القرآن أن هذا الكتاب النازل في صورته الكاملة غذاء الروح، وأنه للقلوب كالغيث للأرض، وأول ما يحصل للإنسان من أثره التنوير ثم الهداية ثم الإخراج من الظلمات ثم الشفاء، ليبلغ الإنسان بعد ذلك المرحلة التي يُدخل بها في الرحمة أي رحمة القرآن الكريم[4].

---

[1]- خصائص القرآن الكريم: ص11.

[2]- المرجع السابق نفسه: ص 14.

[3]- انظر المرجع السابق نفسه، وسبق أن تناول المؤلف خصائص القرآن الكريم في مبحث من كتابه دراسات في علوم القرآن حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام: أولها خصائص تتعلق بفضله وشرفه ومكانته وأورد منها كلاما مجملا في فضل القرآن الكريم باعتباره كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة كما أشار إلى شفاعته لأهله وأنه شفاء، وثانيها: خصائص تتعلق بأسلوبه و لغته، وثالثها:خصائص عامة منها حفظه في الصدر واتصال سنده وأنه لا يمسه إلا المطهرون وأن الله تعهد بحفظه.

[4]- انظر: القرآن الكريم طبيعته ووظيفته.

كما بين في المحاضرة الثانية أثر روح القرآن الكريم في الإنسان فردا وجماعة ونوعا، مرشدا إلى كيفية جعل هذه الروح تحل فينا من جديد[1].

قال حفظه الله: "الروح سر من الأسرار الإلهية، حين نفخت في آدم أول مرة ظهرت جميع خصائص الحياة، وحين تُنفخ في ابن آدم بعد ذلك يصير بها خلقا آخر...والقرآن الكريم روح كتلك الروح، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مّنْ أَمْرِنَا)[2].."[3] "فالإنسان قبل أن يسري ماء القرآن في عروقه وكيانه يكون ميتا بصريح القرآن..أما عندما يخالط هذا القرآن قلبه، ويسري منه كما يسري الدم في مجموع الكيان، فإنه يصير فعلا خلقا آخر من حيث طاقاته، من حيث تصوراته وأفكاره، من حيث قدراته، من حيث إمكاناته، من حيث منجزاته.."[4].

وركز كل من حاج حمد وطه العلواني في كتاباتهما[5] على الخصائص المعرفية والمنهجية للقرآن الكريم، ومن أهم ما تحدثا عنه في مناسبات متعددة: الاستمرارية، والإطلاقية، والهيمنة والتصديق، والعالمية، والحاكمية، والوحدة البنائية، والشمول للمعرفة الكونية...

---

[1]- انظر: القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية.

[2]- الشورى:52.

[3]- القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية:ص 17.

[4]- القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية: ص 21.

[5]- من مؤلفات طه العلواني التي توزع حديثه فيها عن خصائص القرآن الكريم: نحو منهجية معرفية قرآنية، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، فضلا عن عدد من المقالات المنشورة أساسا في مجلة إسلامية المعرفة. ومن مؤلفات حاج حمد: العالمية الإسلامية الثانية جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ومنهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية. وهي مؤلفات حملت أفكارا جديدة واتسمت بجرأة على التراث غير معهودة تباينت بشأنها آراء الباحثين في الدراسات القرآنية. ومن حسناتها ـــ ولا شك ـــ أنها فتحت الباب للنظر والبحث من جديد.

ومن أولى الندوات العلمية التي أثارت موضوع تجديد النظر في هذه الخصائص بما يناسب الواقع المعرفي وغير المعرفي للأمة الإسلامية: الندوة العلمية التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي حول الخصائص المنهجية والمعرفية للقرآن الكريم، **أم درمان، السودان، دجنبر 1995م**، وينظر البيان الختامي للندوة في مجلة إسلامية المعرفة عدد **4**.

2-2-3- التعريف القرآني وخدمة التأسيس والإضافة

لا نقصد هنا تلك الإضافات التي تتبع في الغالب عملية التصحيح والتقويم أو تقتضيها خدمة الإثراء والإغناء.

بل نقصد إضافة مباحث جديدة وتأسيس علوم أخرى ضمن العلم أي علوم القرآن.

وما أكثر الإضافات التي دعا إليها الدارسون لهذا العلم كل من زاوية اهتمامه بهذا القرآن العظيم، ويعنينا هنا تلك الإضافات التي يفيد فيها أساسا التعريف القرآني للقرآن، وأحسن نموذج لها مبحث (مقاصد القرآن الكريم) وهو من المباحث التي ظهرت العناية بها مع بعض المفسرين والدارسين المحدثين والمعاصرين، واكتفى المتقدمون ـــ من المفسرين خاصة ـــ بذكر مقصد هذه الآية أو تلك السورة في ثنايا التفسير.

وجمعا بين عمل هؤلاء وأولئك ميز الباحثون بين ثلاثة مستويات من هذه المقاصد:

مقاصد الآيات ومقاصد السور والمقاصد العامة للقرآن الكريم[1].

ومقامنا هذا يُعنى بهذا المستوى الثالث الذي يفيد فيه أساسا حديث القرآن عن القرآن وتعريفه بغاياته ومقاصده، إذ يمكن تأسيس مبحث خاص وعلم قائم بذاته ضمن علوم القرآن يتتبع تلك الغايات التي أعلن عنها القرآن الكريم ـــ تصريحا أو تلميحا ـــ ويجمع شتاتها ويدرسها ويصنفها ويجعلها قابلة للاستثمار والبناء عليها.

ويمكن الاستفادة في ذلك من جهود العلماء في بحث مقاصد الشريعة التي" نال البحث فيها أضعاف ما ناله البحث في مقاصد القرآن"[1] لتقسيم مثلا تلك المقاصد القرآنية إلى مقاصد كلية ومقاصد بعضية، ومقاصد أصلية ومقاصد تبعية.

[1]- انظر بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه/ جهود الأمة في خدمة مقاصد القرآن الكريم: 936/4.

فالمقاصد الكلية هي ما ذكرها القرآن الكريم لعموم الناس كمقصد البيان للدين: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)[2]، ومقصد الهداية: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىَ وَالْفُرْقَانِ)[3]، ومقصد الإنذار: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىَ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)[4].

والمقاصد البعضية أي المذكورة لبعض الناس كالمؤمنين أو الرسول صلى الله عليه السلام.. خاصة، نحو مقصد التثبيت والبشرى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىَ لِلْمُسْلِمِينَ)[5]، ومقصد السعادة والتذكرة: (طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى إِلاّ تَذْكِرَةً لّمَن يَخْشَىَ)[6].

والمقاصد الأصلية هي ما يمكن تعريفها بحسب المضمون أنها تلك التي تشمل مقاصد أخرى مذكورة معها في القرآن الكريم، وذلك مثل مقصد الهداية ـــ المطلق ـــ الذي يصلح أن نُدرج ضمنه مقصد الهداية ـــ المقيد ـــ كالهداية للتي هي أقوم والهداية إلى الرشد والهداية إلى الطريق المستقيم[7]...

أو يمكن تعريفها بحسب الورود فيقال هي المقاصد التي لها حضور واسع في القرآن الكريم، وذلك كمقصد عبادة الله تعالى والبيان للدين.

إن الاستقراء والتتبع الدقيق لموارد المقاصد التي ذُكرت للقرآن الكريم ودلت عليها أساسا لامات التعليل أو صيغ المفعول لأجله، سيفضي ولا شك إلى تحديد هذه

---

[1]- بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه/ جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم:958/4 (بتصرف).

[2]- النحل: 44.

[3]- البقرة: 185.

[4]- الفرقان: 1.

[5]- النحل: 102.

[6]- طه: 1-3.

[7]-راجع الآيات: الإسراء: 9 + الجن : 1-2+ الأحقاف 30.

المقاصد، ومعرفة أنواعها والتقسيمات المستوعبة لجزئياتها، فضلا عن تفصيلات أخرى تكشف عنها السياقات المتعددة للنزول والورود.

وسيسفر البحث ولا شك عن نتائج مهمة في العلم، أهمها:

ـــ ضبط معنى المقاصد القرآنية إذ منهم من يستعملها بمعنى "الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن"[1]، ومنهم من يستعملها بمعنى "المحاور الكبرى والقضايا العامة التي جاء القرآن لتقريرها"[2]، و"كثير من الباحثين لم تنضبط عندهم معالم الحدود بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة"[3].

ـــ خدمة علم التفسير تنقية وتصحيحا وإغناء وتجديدا: فأما الإغناء والتجديد فيحصل بالقدرة على التدبر التي تكون للعارف بالمقاصد، كما قرر الإمام الشاطبي في سياق رده على من زعم أن للقرآن ظاهرا وباطنا: ".. فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر"[4].

وأما التنقية والتصحيح فتحصل بامتلاك أداة التمييز بين التفسير المقبول والتفسير المردود، فالعارف بالمقاصد هو عارف بمراد الله تعالى من كلامه، ومقاصد القرآن هي نفسها مقاصد المُفسِر كما صرح الشيخ الطاهر بن عاشور بقوله: "فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المرادَ من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا"[5].

---

[1]- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: ص 47.

[2]- بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه/ جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم: 959/4.

[3]- المرجع السابق نفسه: 979/4.

[4]- الموافقات: 209/4.

[5]- التحرير والتنوير: 41/1.

ـــ تمييز المباحث التي تخدم مقاصد القرآن عن غيرها، والتمكن بذلك من معرفة ما لا يصلح إدراجه ضمن علوم القرآن وما يضر التوسع فيه والاشتغال به، لأن تلك العلوم ـــ على رأي الإمام الشاطبي في أصول الفقه[1] ـــ لم تختص بإضافتها إلى القرآن الكريم إلا لكونها مُفيدة له ومُحققة لغرضه.

خاتمة:

سعى هذا البحث إلى تأكيد أهمية تعريف القرآن باعتباره منطلقا رئيسيا في البحث في علوم القرآن ومدخلا أساسيا للخدمة المرجوة فيه، وحاول الاستدلال على هذه الأهمية من خلال نماذج من بحوث العلم رأى في قسم منها الحاجة إلى التصحيح والتقويم وفي قسم آخر الحاجة إلى الإغناء والإثراء وفي قسم ثالث الحاجة إلى التأسيس والاستحداث.

و مهد لذلك بحديث موجز عن معاناة هذا العلم ومنها تلك المرتبطة بالتعريف المتداول للقرآن الكريم إذ لاحظ قصور هذا التعريف عن تمثل الرؤية الصحيحة للقرآن الكريم والتي لا سبيل إليها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم نفسه والاسترشاد بإشاراته وعباراته في بيان هويته ومضمونه ووظيفته وغايته.

و يتطلع البحث بعد ذلك إلى:

مواصلة بحث تعريف القرآن للقرآن مع العناية بنصوص السنة النبوية الشريفة المفيدة في هذا التعريف.

[1]- قال الإمام الشاطبي متحدثا عن أصول الفقه: "... ذلك أن هذا العلم لم يختص بإضافته إلى الفقه إلا لكونه مفيدا له ومحققا للاجتهاد فيه فإذا لم يفد ذلك فليس بأصل له" الموافقات: 42/1.

بذل الوسع في بيان فوائده وأهميته والاجتهاد في رسم خطوات إعماله ومنهج توظيفه في العلم.

تكثيف النظر في مباحث علوم القرآن في ضوء من ذلك التعريف وملاحظة مدى ارتباط هذه المباحث برؤية القرآن للقرآن.

العناية بباقي المداخل من لغوية وتاريخية وواقعية..بالإضافة إلى المدخل القرآني لخدمة هذه المباحث تنقية وتقويما، وإغناء وإثراء، وإضافة وتجديدا.

العناية بالأثر الواقعي لتوسيع المعرفة بالقرآن الكريم وإعادة ضخ دماء الحياة في العلوم المرتبطة به.

والله الموفق والهادي إلى الصواب

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط 1964/6م.
- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول:علي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1984/1م.
- إتقان البرهان في علوم القرآن: فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط1997/1م.
- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، تح فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1999/1م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، تح شعبان محمد إسماعيل، دار الكتبى، مطبعة المدني، القاهرة، ط1992/1م.
- إسلامية المعرفة: مجلة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي من جامعة بيروت الإسلامية، عدد 4-37-38.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان النورسي، تح إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول،1994م.
- البحر المحيط: بدر الدين الزركشي، تح لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبى، ط1994/1م.
- بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، مطبعة أنفو-برانت، فاس،2011م.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تح أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006م.
- بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين الفيروز آبادى، تح محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- التقرير والتحبير في علم الأصول شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام: إشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، ط1/1996م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط10/2009م.
- الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم: قرص جامع لأكثر من مائة تفسير أصدرته مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس2011م.
- الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون: طه العلواني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005م.
- خصائص القرآن الكريم: فهد الرومي، مكتبة العبيكان، ط9/1997م.
- خواص القرآن دراسة نظرية تطبيقية: تركي بن سعد بن فهيد الهويمل، دار ابن الجوزي، ط1/2009.
- دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، الرياض، ط14/2005م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي،بيروت، د. ت.
- شرح البدخشي منهاج العقول ومعه شرح الأسنوي نهاية السول كلاهما شرح منهاج الوصول في علم الأصول للقاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1984م.

- العالمية الإسلامية الثانية جدلية الغيب والإنسان والطبيعة: محمد أبو القاسم حاج حمد، دار ابن حزم، ط2/1996م.
- العلوم الإسلامية أزمة منهج أم أزمة تنزيل: سلسلة ندوات علمية 3، الرابطة المحمدية للعلماء، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، د.ت.
- علوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط1/1993م
- غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات علوم في القرآن: فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط1/2007م.
- القرآن الكريم روح الأمة: الشاهد البوشيخي، منشورات جريدة الحجة، سلسلة رسائل الهدى2، مطبعة أنفو- برانت، فاس، ط2/2001م.
- القرآن الكريم طبيعته ووظيفته: الشاهد البوشيخي، منشورات جريدة الحجة، سلسلة رسائل الهدى1، مطبعة أنفو- برانت، فاس، ط4/2001م.
- لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب: طه العلواني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006م.
- مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط27/2007م.
- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مكتبة وهبة، مطبعة المدني، القاهرة، ط14/2007م.
- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية، عناية وتخريج للأحاديث عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط3/2005م.
- المستصفى في علم الأصول: أبو حامد الغزالي، تح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413م.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ضبط ومراجعة محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط2/1999م.

- مقاييس اللغة: ابن فارس، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1/1991م.
- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أحمد ابن تيمية، تح فريال علوان، دار الفكر اللبناني، ط1/1992م.
- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1/2008م.
- منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية: محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، بيروت، ط1/2003م.
- الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، تح عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الميزان في تفسير القرآن:محمد حسين الطباطبائي، إشراف حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1/1997م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد عبد الله دراز، تح أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، القاهرة، ط10/2008م.
- نحو منهجية معرفية قرآنية: طه العلواني، دار الهادي، بيروت، 2001م.
- نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه: طه العلواني، دار السلام، القاهرة، 2010م.
- النور للدراسات الحضارية والفكرية: مجلة تصدرها مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، عدد3.
- الواضحة: مجلة تصدرها مؤسسة دار الحديث الحسنية، الرباط، عدد17/2003م.
- الوحدة البنائية للقرآن المجيد: طه العلواني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006م.